مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(رومية ٦: ١٨–٢٣)

يا إخوةُ بعد أن أُعتِقتم من الخطيئةِ أصبحتم عبيداً للبِرّ* أقول كلاماً بشريًّا من أجل ضَعفِ أجسادكم. فإنَّكم كما جعلتم أعضاءكم عبيداً للنجاسةِ والإثم للإثم كذلك الآن اجعلوا أعضاءكم عبيداً للبِرّ للقداسة* لأنكم حين كنتم عبيداً للخطيئةِ كنتم أحراراً من البِرّ* فأيُّ ثمرٍ لكم من الأمورِ التي تستحيونَ منها الآن. فإنَّما عاقِبتُها الموت* وأمَّا الآن فإذ قد أُعتِقتم من الخطيئةِ واستُعبِدتم لله فإنَّ لكم ثمرَكم للقداسة. والعاقِبةُ هي الحياةُ الأبدية* لأنَّ اجرةَ الخطيئةِ موتٌ وموهِبةُ اللهِ حياةٌ أبديَّةٌ في المسيحِ يسوع ربِّنا.

القديس نيقولاوس كاباسيلاس

وُلد القديس نيقولاوس كاباسيلاس الذي نعيّد له في ٢٠ حزيران، في مدينة تسالونيكي العام ١٣٢٢ من أسرة نبيلة. منذ نعومة أظفاره، اعتنى بتنشئته الروحية الأب دوروثاوس فلاتيس، وكان دوروثاوس تلميذاً مقرّباً للقديس غريغوريوس بالاماس (+ ١٣٥٩) الذي أصبح متروبوليت تسالونيكي فيما بعد، كما أنه كان يتردّد على دوائر الأتقياء العلمانيين الذين كانوا يمارسون صلاة يسوع. بعد أن أنهى المرحلة الأولية من دراسته الأدبية والفلسفية بإشراف عمّه الكاتب نيلّوس كاباسيلاس، انطلق إلى القسطنطينية ليتابع فيها بشغف تحصيله العلمي الفلسفي. وقد أتت الجدالات اللاهوتية في هذه المرحلة من إقامته في العاصمة، ما بين برلعام الكلابري والقديس غريغوريوس بالاماس، حول إمكان تألّه الإنسان بقوى النعمة غير المخلوقة، لتوقظ فيه حسًّا رهيفاً وانجذاباً نحو الحياة المسيحية.

أدّت ثقافته الواسعة ومكانته الاجتماعية المرموقة إلى أن يهتم بالشأن العام. فقد شهدت مدينة تسالونيكي ثورة محلّية، فيما كانت الحرب الأهلية مشتعلةً في سائر أرجاء الإمبراطورية. وقد لعب نيقولاوس دوراً اساسيًّا في المفاوضات ما بين الثوار والدولة، لكن وساطته لم تنجح، فمكث في تسالونيكي حتى ١٣٤٧، ودوّن عدداً من الكتابات ضد الإستغلال والظلم الإجتماعيين.

بعد اعتلاء يوحنا كانتاكوزينوس العرش الإمبراطوري استدعاه إلى القسطنطينية وجعله مستشاره في سائر أمور الدولة. ولطالما قرّظ الإمبراطور حكمته وتبصّره في الأمور الروحية والعالمية. وقد كرّس القديس هذه الفترة للكتابة دون إهمال واجباته في الحياة العامة.

في أيلول ١٣٤٧، كان في عداد مرافقي القديس غريغوريوس بالاماس إلى أبرشية تسالونيكي التي انتُخِبَ حديثاً متروبوليتاً عليها. لكن تجدّد الثورة في المدينة أدّى بالوفد إلى الانتقال إلى جبل آثوس حيث عاشوا في السكينة والصلاة طيلة عام

العدد ٢٥/٢٠١٠

الأحد ٢٠ حزيران

تذكار القديس الشهيد في الكهنة مثوديوس أسقف بطارُن

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الرابع

الإنجيل

(متى ٨: ٥-١٣)

في ذلك الزمان دخل يسوع كَفْرناحومَ فدنا إليه قائدُ مئةٍ وطلب إليه قائلاً يا ربُّ إنَّ فتايَ مُلقًى في البيت مُخلَّعاً يُعذَّبُ بعذابٍ شديد* فقال له يسوع أنا آتي وأَشفيهِ. فأجاب قائدُ المئةِ قائلاً يا ربُّ لستُ مستحقًّا أن تدخُل تحت سقفي ولكن قُل كلمةً لا غيرُ فيبرأ فتايَ* فإنّي أنا إنسانٌ تحت سلطانٍ ولي جندٌ تحت يدي أقولُ لهذا اذهبْ فيذهَبُ وللآخرِ ائْتِ فيأتي ولعبدي إعمَل فيعملُ* فلمَّا سمع يسوع تعجَّب وقال للذين يتبعونه الحقَّ أقول لكم إنّي لم أجِد إيماناً بمقدارِ هذا ولا في إسرائيل* أقول لكم إنَّ كثيرين سيأتون من المشارقِ والمغاربِ ويتَّكِئون مع إبرهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ في ملكوتِ السموات* وأمَّا بنو الملكوتِ فيُلقَون في الظلمةِ البرَّانيَّةِ. هناك يكونُ البكاءُ وصريفُ الأسنان* ثمَّ قال يسوع لقائد المئة إذهَبْ وليكُن لك كما آمنْتَ. فشُفيَ فتاهُ في تلك الساعة.

حتى ١٣٤٩ حين هدأت الأجواء وجرى تنصيب القديس غريغوريوس في أبرشيته.

عام ١٣٥١، خلال المجمع المحلّي المنعقد في القسطنطينية، والذي ثبّت تعليم القديس غريغوريوس بالاماس عن النور الإلهي والقوى الإلهية غير المخلوقة، أخذ نيقولاوس موقفاً راسخاً في تأييد التعليم الأرثوذكسي.

على أثر توالي الأزمات السياسية في القسطنطينية، إنسحب القديس من الشأن العام، وانصرف للتأمل في سر المسيح كما يُعاش في الكنيسة. وليس واضحاً في المصادر التاريخية إن كان قد قضى بقية عمره «هدوئيًّا علمانياً» أو اعتنق سيرة التوحّد الرهبانية في الأديرة. ولكن خلال هذه المرحلة من الاعتكاف، عدا عن سنتين قضاهما في تسالونيكي، مرّ بالقسطنطينية وزار أديرتها والأديرة المجاورة لها. وقد ذاعت شهرته كرجل بلغ اسمى درجات الفضيلة، فكانت شخصيات رفيعة المقام، كالإمبراطور مانويل باليولوغوس، تلتمس إرشاده، معتبرين إياه أباهم الروحي.

بيد أن القديس تجنّب الانخراط مجدّداً في اضطرابات العالم، وكان يؤثر الإقامة في الصمت، وقد عمل على تصنيف كتابين هما «تفسير القداس الإلهي» و«الحياة في المسيح»، اللذين يشهدان لقداسته ويُعتبران من أبرز نتاج الأدب المسيحي عبر العصور.

رقد القديس نيقولاوس بسلام ما بين ١٣٩١ و١٣٩٧. لكن لم يصلنا أي نص مكتوب عن ظروف وفاته.

كتابه «الحياة في المسيح» يظهر كيفية تلّقي الشخص البشري «للحياة الحقّة» عبر الأسرار المقدسة: المعمودية، الميرون والإفخارستية. وكيف يحقق الإنسان، بنموّه في الفضيلة، سكنى المخلص فيه بالروح القدس والإتحاد بالمسيح. فإن تجسد المسيح هو مبدأ كل حياة روحية، لأنه إذ جمع المتفرقات، حقّق شركة المخلوق مع غير المخلوق. يؤكّد القديس أن هذه الحياة في المسيح تبدأ منذ هذا الزمن، ولا تبلغ غايتها إلا في الملكوت السرمدي الذي هو في متناولنا منذ الآن في الكنيسة. المسيح يسكب نفسه ويندمج عبر الأسرار في كل واحد من أعضاء جسده، الكنيسة، كالنور الذي يلج إلى المنزل عبر النوافذ، فيحقق في الإنسان سر عرسه العظيم، مدخلاً إلى جسد الإنسان المائت والخاضع للتغيير، حياته الأبدية غير المائتة. لكن هذا الحضور للمسيح لا يصبح فاعلاً فينا إلا إذا «تآزرنا» واستجبنا بحرية لعطيّة الله، محافظين بيقظة على النعمة الممنوحة، كمصباح مضيء، في انتظار عودة الختن. فحياة المؤمن الروحية تقوم على حفظ أعضائه وحواسه التي اتحد بها المسيح وعلى تأمّل الشرف الذي وهبنا إياه.

من المستحيل أن ينجذب إلى الشر الإنسان الذي يدرك محبّة السيّد التي جعلته يقدّم ذاته ذبيحة على الصليب لكي يجعل منا هيكلاً له وأعضاء في جسده. الله يصير بالنسبة لهذا الإنسان المرغوب الوحيد، كونه يقتني ذهن المسيح ويحفظ وصايا السيّد ويطبّقها بأمانة. فتتحد مشيئته وأفراحه وأحزانه مع السيّد فتجعله المحبّة الإلهية يتذوّق قوى الطبيعة الإلهية التي للمسيح الإله الإنسان.

تأمل

« لكن قل كلمة لا غير فيبرأ فتاي».

ان الله تعالى لا يطلب من المصلّي جمال الكلام ولا زخرفة بل يطلب جمال النفس. فإن نطقتَ بما يرضي الله تحصل على ما طلبت. أترى ما هي السهولة هنا؟ إذا أراد أحد ما أن يقابل كبيراً من الناس يجب عليه أن يكون طلق اللسان قادراً أن يساير حاشية الرئيس، متذرعاً بجميع ما لديه ليقبلوه. أما هنا فلا حاجة بنا إلى شيء سوى نشاط النفس، لأنه لا شيء يحجزنا عن التقرُّب منه تعالى: «أَلَعلّي إله من قريب يقول الرب ولست إلهاً من بعيدٍ» (ارميا ٢٣: ٢٣). بُعدنا عن الله متوقف علينا لأنه هو دائماً قريب منا. ولا حاجة هنا إلى طلاقة اللسان، ولا إلى الصوت لأنك إذا دعوته في قلبك كما يجب يسمعك عاجلاً كما سمع موسى وحنة (خروج ١٤: ١٥ والملوك الأول ١: ١٣)

يرى القديس نيقولاوس فعل التألّه هذا، والذي هو الغاية القصوى لحياة الإنسان، متمثّلاً بشخص السيدة والدة الإله، التي ببهاء روحها وبمشيئتها كاملة، خضعت لتدبير الله، فاجتذبت الروح القدس وأهلّت أن تلد المخلّص.

ويمكننا القول إن القديس نيقولاوس كاباسيلاس يقدّم تعليم النسّاك الهدوئيين، كما صاغه ودافع عنه القديس غريغوريوس بالاماس، ليُظهر أن التألّه والإتحاد بالمسيح هو غاية الحياة الروحية لكل إنسان مسيحي وليس فقط للرهبان المتوحدين. هذه «الهدوئية الأسرارية» تكمّل الصورة الأجلى لمفهوم الكنيسة الأرثوذكسية للحياة الروحية ولعيش الإنجيل في كل عصر وزمان.

تعالَ أيها الرب يسوع تعالَ

تعالَ أيها الرب يسوع تعالَ. تلك هي الصرخة الصامتة التي يطلقها كل منا عندما يكون جالساً في بحر الأحزان. إن نفسي المخلّعة بأنواع الخطايا تدعوك يا سيد لتشفيني من عذاباتي الشديدة فأنهضني من الآلام. أنا آتي وأشفيك، يجيب السيد، فأصرخ هاتفاً: لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي لكن قل كلمة لا غير فأبرأ.

عندما ندعو الله ليساكننا نحن ندرك خطورة الطلب، ذلك أن دعوته تستوجب علينا الذهاب إليه أولاً. ولكن أين هو؟ هل نعرف أين يقيم؟ عندما نريد دعوة شخص لزيارتنا يجب أن نكون على معرفة سابقة به. يجب أن يكون بيننا وبينه حديث. يجب أن تكون لنا معه بعض مودّة وعلى الأقل شيء من معرفة. سيكون الأمر أكثر صعوبة لو كنا بحاجة ماسة لتدخّله من دون أن نعرفه، أو لو كنا لا نعرف كيف نتوجه إليه. في هذه الحال سنشعر برهبة وعدم ارتياح. سنفكر في ذواتنا قائلين: هل سيلاحظ أننا نطلب حضوره عن مصلحة لا عن صداقة ومودة؟ الأمر الثاني الذي سيشغل بالنا هو تأكّدنا من أن منزلنا يليق باستقباله. هل هو نظيف؟ هل هو على درجة مقبولة من الترتيب؟هل هو مكان مريح ولائق بمكانة الزائر؟

إنجيل اليوم يطرح علينا سؤالاً بسيطاً ومهماً في آن واحد: كيف نستقبل الله في حياتنا؟ كيف تتم زيارته إلينا؟ هنا لا نتطرق إلى الجانب الروحي من السؤال بل إلى جانبه البشري الإنساني. والجواب هو: إن زيارة الرب إلينا تتم بحسب واقع كل منا، أي أنها تكون على حسب قلبنا، على حسب شوقنا إليه، على مقياس محبتنا له وتعلّقنا به. وهي تتم في إطار خصوصية وفرادة شخصيتنا. فاللطيف والمتواضع يختبر اللقاء بالرب بشكل يختلف عن ذلك الذي يكون شديد العنفوان مثلاً. أما البسيط القلب فيختبر اللقاء بيسوع بشكل يختلف عن الذي يقارب الأمور من خلال إدراكه العقلي.

اللقاء بيسوع هو دائماً لقاء شخصي تتحدّد طبيعته بحسب فرادة وشخصية كل منا. أنا صاحب سلطان ولي جندٌ تحت إمرتي، أقول لهذا اذهب فيذهب ولهذا إئتِ فيأتي وللآخر اعمل فيعمل. أنا يا سيّد مثلك، قال القائد ليسوع، أنا أعرف أنك صاحب سلطان، ولكن السلطان الذي أُعطيتُ لا يؤهلني أن أكون بمستواك. فأنت خالق وأنا مخلوق،

فليس لديه جنود تطرد القادمين إليه ولا حاجب يؤجل الوقت قائلاً ليس الآن وقت الدخول أو ليس الوقت المناسب أو تعالَ في وقت آخر! انه في أي وقت جئته مستعد أن يسمع كلامك، ان في وقت الغذاء أو العشاء أو في نصف الليل أو في الساحة أو في الطريق أو في المجمع أو أمام الرئيس أو في المحكمة؛ فلا شيء يمنعه أن يسمع طلبك، إن دعوته كما يجب.

فلا يجوز أن تقول انك تخاف أن تتقدم إليه وتطلب منه لأن خصمك واقف أمامه، فهذا المانع لا يوجد هنا لأنه يسمع خصمك ولا يرفض طلبك. ففي أي مكان يجوز لك أن تخاطبه ولا صعوبة في ذلك إذ لا حاجة بك ليقدمك إليه حاجب أو ناظر أو حارس أو مراقب أو صديق. فمتى جئت إليه بنفسك يستمع إليك، وخصوصاً، إن لم تطلب أحداً سواه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

أنت واهب الحياة وصانعها وأنا تراب. أنت تسود على الناس بتنازلك إليهم وأنا أسود بالقوة. قوة سلطانك نابعة من دفق المحبة وقوة سلطاني مبنية على القوة والبأس. قوتك تكمن في دِعتك وأنا لا أعرف التواضع لذلك لا استحق أن أُدخلك تحت سقفي. لو أدخلتك لأهنئك، فأنت أرفع من أن تكون تحت سلطان بشري. أنت أعظم من أن تظللك السماء فأرجوك ألا تقبل بأن يظللك سقفي.

عندما نقترب طالبين تناول جسد الرب ودمه الكريمين لشفاء النفس والجسد، هل يخطر ببالنا قول هذا الجندي الغريب؟ أم أننا نتجاسر على الرب ونتناوله كأنه شيء من أشيائنا نقتنيه كما نقتني أي متاع من متاع الدنيا؟ هل نأخذه لتطمئن نفوسنا بأننا على شيء من الصلاح والبرّ وأن لا شيء نقلق من أجله على صعيد خلاصنا؟ مَن يدرك عَظَمة السر يرتعد. كيف أقبلك يا سيّد وأنا في الخطيئة مقيم؟ كيف ادعوك لتكون الأول في حياتي دون أن أهبك كل فكري وقلبي ونفسي؟

في كل مرة نتقدّم فيها لتناول الأسرار المقدسة لنسأل أنفسنا عن طبيعة علاقتنا بيسوع. نحن لا نستطيع ان نقبل السيّد في ذواتنا ما لم نكن نحبه أكثر من أي كان. ما لم نكن نحبه أكثر من حبنا لأنفسنا. في هذه الحالة يجد الله فينا مسكناً. في هذه الحالة فقط يصح القول أن ملكوت الله في داخلنا. في هذه الحالة فقط نصبح هيكلاً مقدَّساً. إن لم يكن كذلك فسنكون من أبناء الملكوت الذين يُلقون في الظلمة البرانية لأننا نكون قد اخترنا مجد العالم وأحببناه اكثر من مجد الله. علينا أن نجاهد لكي نهيء للرب مكاناً في قلوبنا ليستقر ويستريح فيها. عندها نكون مستحقين أن يدخل الرب، عبر المناولة، إلى جسدنا ويسكن تحت سقف بيت جسدنا.

اجتماع كهنة في سوريا

بدعوة من غبطة البطريرك إغناطيوس الرابع هزيم عُقد في الثامن من حزيران ٢٠١٠ في دير القديس جاورجيوس – الحميراء، اجتماعاً لكهنة الأبرشيات السورية في الكرسي الأنطاكي المقدس. حضر غبطته الإجتماع والسادة مطارنة الأبرشيات السورية، وقد تكلّم غبطته عن أهميَّة الكاهن ودوره، وتمنى على السادة المطارنة أن يُقرّوا في أبرشياتهم معاشاً يؤمِّن كرامة للكاهن وتأميناً صحيًّا له ولعائلته إضافة إلى تأمين المسكن، إذ يجب أن تكون كرامة الكاهن محفوظة. وبعد الغداء قدَّم ثلاثة كهنة تقارير حول وضع الكاهن في الكرسي الأنطاكي، الكاهن والليتورجيا، وقراءة حول قانون الأحوال الشخصية. كما قُدِّمت تقارير عن الأبرشيات السورية تلاها حوار بنَّاء حول التقارير المقدَّمة. ثم تمنى الحضور على سيادة المتروبوليت جورج أبو زخم (مطران حمص) صياغة التوصيات لرفعها إلى المجمع الأنطاكي المقدَّس للنظر فيها. وخُتم اللقاء بصلاة الغروب.

عبّر الجمع عن شكرهم لغبطته على الدعوة وللجنة المنظّمة المؤلفة من السادة المطارنة جورج أبو زخم وبولس يازجي وإيليا صليبا، وللكهنة ممثلي الأبرشيات في اللجنة. وتمنى الجميع على غبطته تكرار مثل هذا الإجتماع إذ ساد اللقاء جو من الود والفرح والمحبَّة.